الثورة التقنية والبيوتيقا واستنطاق القيم (الخطاب الصوفي أنموذجا)

The Technical Revolution, The Biotika and the Question of Values (Sufi Discourse is a Model)

بولعراس جباري*

جامعة مصطفى أسطنبولي معسكر الجزائر

مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم- مستغانم -

djebar.boulaares@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول 2021/07/02 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص:

في ظل التقدم التكنولوجي، والتقنية الفتاكة أصبحت البشرية في زمن التسارع تعيش الإغتراب، بسبب هدم القيم في سبيل تحقيق الغاية مهما كانت الوسيلة، وإن خالفت الأخلاق والفطرة، ولأجل أن تتراحم الإنسانية وتستعيد عافيتها كان الخطاب الصوفي بما يحمل من قيم كونية رهان يعيد الفطرة، ويزيح المشكلات التي تتخبط فيها البشرية بسبب التقدم العلمي الغير منضبط بالقيم.

الكلمات المفتاحية (التقنية- الأخلاق – التصوف – البيوإطيقا - الخطاب):

Abstract:

In light of technological advances and deadly technology, humanity in the time of acceleration is living in alienation, because of the destruction of values in order to achieve the end, whatever the means, and if it violates morality and nature, and in order to rest humanity and recover,

* المؤلف المراسل

the Sufi discourse, with its universal values, is a bet that restores nature, and removes the problems that humanity is experiencing because of uncontrolled scientific progress in values.

key words : (technology, ethics, mysticism, biotica, speech)

مقدّمة:

إن العصر الذي تعيشه المجتمعات اليوم جد رهيب، عصر أصبح الإنسان يعاني فيه الاغتراب من غياب القيم، والابتعاد عن كل ما هو كوثر، والاقتراب من كل ما هو مادي، حيث أصبح يشبع متطلباته الجسدية بكل ما تقدمه التكنولوجيا من آليات الراحة، وتوفير سبل الخدمات المتسرعة، ولكن سرعان ما أصبح الإنسان التكنولوجي يعيش القلق،و الانفصام نتيجة غياب نور القيم التي بها تسعد الإنسانية جمعاء، ولان الثورة التقنية التي أبدعها الإنسان المعاصر لم تكن محصنة بالأخلاق فركن الإنسان إلى النزع الترابي يصلحه وتناسى بان السعادة تكمن في العودة إلى نفخه الحق الكوثرية، ولا سبيل إليها إلا بالتمسك بميثاق الأخلاق الكونية، ومن هذا السياق كتب (ماركيوز– Marcuse) كتابه الإنسان ذو البعد الواحد.

إن التقنية في غياب الحصانة الأخلاقية أصبحت تشكل وبالا على الإنسانية جمعاء، سوى تعلق الأمر بمجال الصحة الجسدية أو الوسائل التكنولوجية التي من شانها إن تقديم خدمات متسرعة للإنسان.

الإشكال:

إن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هنا يكمن في كيفيه التخلص من جحيم التقنية وعليه نطرح الإشكال الأتي:

هل الثورة التقنية ساهمت في توفير سبل الراحة للإنسان أم كانت وبالا عليه زادته في شقائه؟

وإذا كان الأمر كذلك، ما هو الرهان الذي يعيد توازن الإنسان وسعادته؟

للاجاه عن هذا الإشكال نطرق النقاط الأتي ذكرها:

1)- سلبيات التقنية

2)- أزمة العلم المعاصر ومبحث الأخلاق و البيوتيقا

3) رهان الخطاب الصوفي وقيمه الكونية

1) سلبيات التقنية:

شهد العالم تطورا تكنولوجيا كبيرا وهائلا، بحيث تغيرت ملامحه خلال مده زمنيه قياسيه نتيجة ما قدمته هذه التكنولوجيا من صناعات واختراعات واكتشافات جديدة، وتعتبر التكنولوجيا نتيجة حتمية لتطور العلم والعلوم ومواكبه المعرفة بل إنها الوجه الأخر لكل هذا التطور الكبير فقد أسفرت عن الكثير من التغيرات التي كانت ايجابيه في معظمها ورغم هذا لم يخل الأمر من بعض سلبيات التي ترافق أي تطور مهما كان وفي هذا المقال سنذكر سلبيات التقنية.

للتقنية سلبيات عديدة على الفرد والمجتمع أهمها ما يلي:

* سبب حدوث عزله اجتماعيه في المجتمع حيث أصبح الأفراد يتواصلون معا من خلال أسلاك الهاتف شبكه الانترنت ومواقع التواصل قللوا من تواصلهم في الواقع مما اثر على السلوكيات الاجتماعية بشكل عام.

* قللت من قدره الناس على التفكير والتحليل وإجراء العمليات الحسابية وغيرها من أمور الترجمة والقراءة والبحث عن المعلومات إذ أن الحواسيب وشبكه الانترنت قد تكفلت بكل هذه الأمور التي أصبحت متاحة وبسهوله وهذا جعل من العقل البشري متكلا بعض الشيء ولا يكلف نفسه على التفكير الكبير.

* أدت إلى زيادة التلوث البيئي وانتشار ظاهره التصحر واستهلاك الموارد الطبيعية واستنفاذها.

* قللت من الاعتماد على العامل البشري وزادت من الاعتماد على الآلة مما زاد من نسبه البطالة بشكل كبير.

* سببت أضرارا كبيره على الإنسان مثل انتشار الإمراض التي لم تكن موجودة مثل الإمراض الناتجة عن التلوث البيئي وإمراض السرطان والغدد الصماء.

* أدت إلى انتشار الحروب وتطور الأدوات المستخدمة فيها وظهور أسلحه الدمار الشامل السلاح النووي.

* زادت من تشتت الانتباه للأطفال بسبب زيادة الاعتماد على العاب الفيديو وبرامج التلفاز مما سبب قله قدرتهم على التذكر.

* تسبب الإدمان لمستخدميها بحيث أنهم أصبحوا عاجزين عن أداء العديد من المهمات التي تكفلت بها الآلات.

2) أزمة العلم المعاصر ومبحث الأخلاق و (البيوتيقا – albyoutika)

أن تأسيس أرضية مفاهيمية يساعدنا في التحكم في البحث وفق ضوابط موضوعية، فما المقصود بالأخلاق؟ وهل يمكن إيجاد مدلول لمصطلح البيوتيقا؟

أ) مفهوم الأخلاق: أورد ابن منظور في كتابه لسان العرب (الأخلاق مشتقة من الخلق وهو الطبع والمروءة والدين والسجية)[1] ، والأخلاق جمع خلق و ذكر خالد بن جمعة (الأخلاق تفيد العادة)[2] ،حيث نجد العادات والتقاليد التي ترسخ في الإنسان أصبحت فطرة ثانية ومدلول للأخلاق يقول عبد الرحمان بدوي (الأخلاق علم العادات التي ترسخ)[3] ، وغير بعيد عن هذا المفهوم يرى جميل صليبه (بان الأخلاق كلمة تطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس من غير تكلف)[4] ، إن الأخلاق بهذا المعنى هي كل تصرف يصدر عن الإنسان بطريقة عفوية حسنا أو مذموما يقول لالاند (الأخلاق هي كل التعاليم المسلم بها في مجتمع معين)[5]، أما طه عبد الرحمان يرى (الأخلاق هي العلم الذي ينظر في إحكام القيمة، والتي تتعلق بالإعمال الحسنة والقبيحة)[6]، والأخلاق

مأخوذة من خلق وهي الصورة الباطنية للأفعال وخلق هي الصورة الظاهرة، يقول الإمام الغزالي (الخلق هو الصورة الظاهرة، والخلق هو الصورة الباطنية)[7]، وكلمة الأخلاق لها أصول يونانية مأخوذة من لفظ ايتيك، ايتوس ومن المصطلح الروماني مورل، مورس وهي العادات الأخلاقية للفرد أو المجتمع (مورل تفيد أخلاق الفرد وايتيك تطلق على قيم المجتمع)[8].

ب) مفهوم البيوتيقا: يستخدم لفظ بيواتيك بمعنى علم الحياة وأخلاقه وذكر محمد عابد الجابري بأنها تعني(أخلاقيات البيولوجية)[9]، والبيواتيك ترجمة إلى اللغة العربية أنها (أخلاقيات علم الأحياء والطب)[10]، وتحدث مؤتمر ليونسكو عن المسائل الأخلاقية وتوصل إلى (البيواتيك هي كل المسائل المتعلقة بالطب وعلوم الحياة والتقنيات وانعكاسها على الفرد)[11]، وقد تفهم البيوتيقا من خلال مواضيعها مثل (الاستنساخ الموت الرحيم الكفاح ضد الإمراض)[12] ، ويذكر عمر توماس في كتابه: (بان فان بوتر قسم الكلمة الى bios وتعني الحياة وethos وتعني الأخلاقيات)[13] وذهبت الباحثة رجاء بن سلامة في مقال لها بعنوان سلطة التقنية وتنافر القيم بان (البيوتيقا هي الدراسة المتعددة للاختصاصات المتعلقة بالحياة البشرية)[14] ، ويطلق لفظ البيوتيقا (أخلاقيات الطب والعمل)[15]، وعرفها (جاكلين روس- Jacqueline Rose) (البيوتيقا علم يتعلق بسلوك المهنة)16.

ج) مفهوم الأخلاقيات التطبيقية

هي مجموعه من القواعد الأخلاقية العملية المجانية تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطه اجتماعيه واقتصاديه ومهنيه كما تحاول ان تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها لا من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقه بل اعتمادا على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق ومن ابرز مجالاتها أخلاقيات الطب البيواتيقة التي ترتبط ميدان علوم الحياة وما يطرحه بعد تبلور ما يعرف

بالتكنولوجيات الحياة من تساؤلات متعلقة بالإنجاب الصناعي (هل تم الإنجاب دون جنس مثلما يتم الجنس دون إنجاب وما تتركه من التأثير على مفهوم العائلة الموت الرحيم والإصرار على مواصله العلاج.

صنف ماري الين باريزو في موسوعة الأخلاقيات والفلسفة الأخلاقية بان أمر البيوتيقا او ما يعرف بأخلاقيات الطب والبيولوجي أهم محور في الفلسفة التطبيقية والبيوتيقا ظهرت في مستهل سبعينيات من القرن الماضي كتخصص جديد يهتم بالمشاكل الأخلاقية التي تطرحها الممارسة العملية والتكنولوجيا في ميادين الطب والبيولوجي والصحة وقد عرفت هذه الميادين ثورة علميه وتكنولوجيه خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية اتضح فيها عجز فكر الأخلاق الكلاسيكي في إيجاد الحل(ولهذا ظهر تفكير جديد يضع قواعد أخلاقيه تجاه الممارسة الطبية والإيديولوجية انه الفكر الأخلاقي التطبيقي الذي طال كل ميادين المهنة)[17].

يقول لوتن: البيوتيقا مقاربه جديد لأخلاقيات الطب بوجه خاص والأخلاق التطبيقية بشكل عام و(دانيال كلاهان- Daniel Callahan): البيوتيقا تعبير عن التغير الثقافي للمجتمع الأمريكي وتجديد قيمي وإيديولوجي.أما (جوزيف فيلتشير – Joseph Fletcher) 1954 في كتابه (الأخلاق والطب) استعمل الأخلاق ليس من منطلق ديني عقائدي مسيحي بل من منطلق مطالب المرضى وحقوقهم ثم وضع نظرية جديدة سنة 1966 تسمى أخلاقيات الحالات الخاصة والتوجه الأخلاقي الجديد. أما (هنري بيتشر- Henry Ward Beecher) في سنه 1966 مقال بعنوان الأخلاق والبحث العلمي في مجال الطب كل ذلك انصهر مع دور رجال الدين المتحررين والفلاسفة ورجال السياسة والقانون لكي ينتج هذا الفكر الجديد.

د) البيوتيقا ومسالة القيم و الأخلاقيات التطبيقية:

-الامتداد التاريخي: متعددة نذكر منها

– الأساطير اليونانية(الإنسان القوي والتشبه بالآلهة (الميثولوجيا الإغريقية)

– نظريه تطوير النسل لدى أفلاطون.

–في عصر الأنوار ارتبط الفكر الأخلاقي الجديد بفكر (فرانسيس بيكون– Francis Bacon– ت:1626) الذي يدعو إلى السيطرة على الطبيعة بواسطة العلم.

– و (إيمانويل كانت– Emmanuel Kant– ت:1804) الذي انطلق من أخلاقيات الواجب:

تجاوز السلطة الأبوية للطبيب ومنح المريض حق تقرير مصير اشتراط مبدأ الموافقة الواعية ومبدأ المسؤولية الذي نجد له أصول في فلسفه (جان بول سارتر– Jean-Paul Sartre– ت: 1980) ، وإلا لأبعاد الجديدة لها مع (هانس يوناس– Hans Jonas – ت: 1993).

وهناك من يرجع الفكر البيواتيقي الى قانون لورنبرج "ومؤتمر اسيلومار"بربطه بتأسيس لجنه الأخلاقيات الفرنسية سنه 1983 ونشأته الحقيقية مع استخدام بوتر للمصطلح 1970.

على مستوى التيارات: تتنازع البيوتيقا تيارات أهمها:

التيار المبدئي(أمريكا) أسس البيوتيقا على أربعه مبادئ

مبدأ الاستقلال الذاتي

مبدأ الإحسان

مبدأ عدم الإساءة

مبدأ العدالة

وهذه المبادئ الجديدة فيها التأكيد على حقوق الإنسان حيث يلتمس النزعة الأخلاقية الكانطية (الكرامة الإنسانية) عوض النزعة البرغماتية أضافه إلى مبدأ لا يقل

أهميه(مبدأ الموافقة الواعية عن مجانية الأعضاء والتبرع،طب الاحتضار ر والموت الرحيم والحق في الموت بكرامه.

أهم موضوعات البيوتيقا:

* علم الجهاز العصبي (التخوف من التحكم في عقل الإنسان وتفكيره سوى كفرد أو جماعة بواسطة الجراحة وزرع الأنسجة والخلايا ألجذعيه بتغيير شخصيه الإنسان وتحويله إلى آلة بشريه مصنعه كليا.

* موت الدماغ: شكل التوافق حول قبوله كمعيار لوقوع الموت ومدى مشروعيه نزع الوسائل الاصطناعية الداعمة للحياة.

* التحكم في الإنجاب:تنظيم النسل والإنجاب الاصطناعي معضلة العقم الإجهاض وحتى يكتسب الجنين صفة الشخص، التلقيح الاصطناعي وهوية الطفل مسالة الإخصاب خاصة عند اللجوء إلى التبرع بالمني إخصاب خارج الرحم واستئجار الأرحام.

* الهندسة الوراثية ومشكلاتها الأخلاقية، و مسألة الجينوم البشري في إطار معرفه أحسن بالإنسان و الإمراض والإعراض الخطيرة التي تهدده ومشكل التنبؤ الوراثي ومكانيه أن يعرف الإنسان مستقبله سلفا (الصحي) وعمليه القرصنة للمعلومات الوراثية واستغلالها من طرف شركات التامين ومكاتب التشغيل والضمان الاجتماعي وكذلك ما يتعلق بجينوم الأجنة ومكانيه تزايد الإجهاض.

* الاستنساخ البشري وانعكاساته على الأفراد المستنسخين الذين سيعانون من الشيخوخة المبكرة والحرمان من العائلة الحقيقية والهوية المميزة وانظمه القرابة والإرث والزواج وغيرها وتحسين السلالة البشرية من مبررات التطهير العرقي الى التطهير الوراثي من خلال تقنيات الهندسة الوراثية التي تدعمها الرفاهة.

رهانات البيوتيقا : متعددة ضمن الحقل الفلسفي والقانون والدين والسياسة وفلسفيا يمكن توضيح موقفين وهذين الموقفين يندرج ضمنهما.

(أعاده صياغة معاني مفاهيم الحرية والواجب والمسؤولية في ميادين البحث العلمي)[18] التي تحمي الإنسان وكرامته وهنا يبدو دور الفلاسفة المعاصرين في الفكر الأخلاقي الجديد حيث ساهم في الحوار الذي يدور في ميادين علوم الحياة خاصة الإنسان.

* النزعة العقلانية الجديدة (الكافنيه الجديدة)

* النزعة العلماويه (البيكونية الجديدة)

الكانطيه الجديدة: تفضل الحيطة والحذر وتلجم العلم والتقنية بلجام القانون والأخلاق وحقوق الإنسان وحجتها انه بقدر ما تؤديه ين الأبحاث التقنية والبيولوجية في تطوير الجنس البشري إلا أن هذا التطور يقودنا إلى مصير مجهول أسوا من وضعنا الحالي حيث يفقد الإنسان حريته.

* البيكونيه الجديدة: تدعم مسار البحث في سبيل إن الإنسان مهدد بالمرض والانقراض مع إخضاع البحث الطبي والبيولوجي بقواعد أخلاقيه.

– العلاقة بين الأخلاق التطبيقية والفلسفة الأخلاقية

الفيلسوفه اكليس روس كتابها(الفكر الأخلاقي المعاصر) أبرزت خمسه ميادين للأخلاق التطبيقية (طب والبيولوجي بشكل هام ثم أربعه الآخرين وهم البيئة المهنة الإعلام سياسة)

* الأبحاث القديمة: اهتمت لما وراء الأخلاق تحت تأثير الفلسفات الوضعية والتحليلية أصبح الاهتمام بالمضمون اللغوي والمنطقي للعبارة الأخلاقية (مثل الخير والشر والعدل والفضيلة والواجب).

ومن خلال هذه المرحلة التي سادة فيها الدراسات التحليلية والماورائية للعبارة الأخلاقية تمت معالجة المضمون الأخلاقي انطلاقا من دوغمائية دينية إلى طابع سيكولوجي وانثر وبولوجي، وفي ميدان الطب الأخلاقي نجد حضور اللاهوتيين الكاثوليك ابتدأ من خمسينيات القرن الماضي يدافعون عن الأخلاق، ومن منطلقهم النص البابوي،ثم استعمل علم التحليل النفسي الذي يؤكد على دور العواطف والانفعالات في توجيه القناعات

الأخلاقية إلى الأنثربولوجيا التي تبرز اختلاف الجماعات البشرية حو لا الخلاق، ومع الستينيات من القرن الماضي بدا الاهتمام بالأخلاق الماهوية أي مفهم الخير مرتبط بالنسق الأخلاقي ضمن شروط الفعل واتخاذ القرار) ومن بين أسباب الاهتمام بالأخلاق الماهوية التحولات الاجتماعية الكبرى وانعكاسها على الحياة الخاصة مثل التحرر الجنسي، ترسخ القيمة المادية للأشياء،تزايد الاحتجاج على السلطة و التسلط، والتأكيد على حقوق الأفراد. والأخلاق الماهوية ارتبطت بالتقنية و ما خلفته من مصالح و آثام في آن وحد والأخلاق الحالية أصبحت تستدعي الحوار ضمن الانفتاح الكوني على كل القيم.مما أصبح التعايش الأيديولوجي أمرا محتوما.

قيم الخطاب الصوفي الكونية:

أ- التراحم

إن التعايش يقتضي مبدأ التراحم الذي يتأسس على قواعد يمكن أن نسميها الواجبات الرحمية، وأول هذه الواجبات كما يرى طه عبد الرحمان (الرحمة هي الأصل في البناء التاريخي والاجتماعي للإنسان)[19] ، إن الدمج التاريخي والاجتماعي وتصالح الإنسانية جمعاء وتزايد تماسكها يتناسب طردا مع مقدار الرحمة، والواجب الرحمي الثاني صيغته هي (لترحم غير الإنسان رحمتك للإنسان حفظا لقيمة الوجود)[20] ، إن التراحم ليقوم بين الآدميين فحسب بل إنّه أيضا يقوم بينهم وبين الأشياء من حولهم (وعلامة ذلك أننا نشعر بيننا وبين هذه الأشياء بروحانية متماثلة وبهذا يبلغ تخليق التضامن كماله)[21] ، أما الواجب الرحمي الثالث صيغته هي (لتؤثر الكونية المأخوذة من الرحمة على كل كونية أخرى (لتؤثر الكونية المأخوذة من الرحمة على كل كونية أخرى)[22].

(أن الكونية ليست رتبة واحدة، وإنما مراتب مختلفة؛ فالبشر، وإن اتفقوا على مجموعة من القيم، فإن قوة اتقائهم عليها تختلف من إحداها إلى الأخرى، إلا أن قوة هذا

الاتفاق تبلغ نهايتها في قيمة التراحم؛ وهذا لا يمنع من أن تختلف أشكال التعبير عن التراحم وتختلف درجات التحقق به لدى الأفراد وتختلف أنماط تطبيقه في المجتمعات)[23].

إذا كانت الصيغ السابقة هي ثلاثة قواعد يتأسس عليها الواجب، الرحمي وتفضي إلى تعايش الإنسانية فإن روح التراحم مبني على مبدأ التخلق، وهذا المبدأ الذي هو رأس كل حكمة وكل فضيلة، بل هو لب السلوك الحميد، مرتبط بمفاهيم ثلاثة (القدوة، التعلق، الاتصاف)، (والتخلق هو الاتصاف على قدر الطاقة بما يتصف به القدوة عن طريق التعلق به)[24] ، أما عن مفاهيمه الثلاثة:

أولها القدوة وهي (الأصل في الأخلاق وجود قيم عليا بني عليها؛ وحد القيمة أنها حقيقة واجبة يراد وقوعها، لا حقيقة واقعة يقطع بها؛ فقيمة الصدق، مثلا، هي أمر واجب، وليس شيئا واقعيا، لهذا، فإن القيمة تتطلب في كل مقام وجود نموذج أو شاهد تتمثل فيه خير تمثيل، وهو معنى القدوة»؛)[25]، وكلما كان النموذج أكمل زاد شرف هذه القيمة والقدوة في اكتمالها، حيث تندرج من النموذج الصالح إلى الأصلح إلى الأكمل إلى الأتم حتى تصل آخر شرف لها، فالرحمة في نهاية شرفها المطلق هو الرحمان.

-أما المفهوم الثاني الذي تتحدد به الرحمة المبنية على روح التخلق ألا وهو مفهوم التعلق (إذا كانت القيمة الخلقية لا تنفك عن نموذج مخصوص هو القدوة، فإن الذي يتبادر إلى ذهن من يطلبها ليس معناها التصوري، وإنما تحققها النموذجي، بل يتبادر إليه أكمل نموذج سبق أن شاهده أو علم به أو أخبر عنه؛ وبهذا، لا تلبث صلته بالقيمة أن تنقلب إلى صلة بنموذجها؛ وواضح أن ممثل هذه الصلة لا تكون إلا من جنس الصلات التي تحصل بين الذوات الحية، فلا تكون نظرا مجردا، وإنما رغبة مشخصة، ولا طلبا بعيدا، وإنما لقاء قريبا؛ لذلك، فإن الصلة بالنموذج تكون أساسا صلة تقرب، وكل صلة تقرب يصحبها تعلق بالمتقرب إليه ؛ وهكذا، فلا بد للطالب القيمة الخلقية من أن يحصل تعلقه

بالقدوة؛ وما لم يحصل هذا التعلق، فلا حظ له في القيمة المطلوبة، إلا أن يكون حظا سرعان ما يزول أو يتلبس بضده)[26].

ولهذا للتعلق مراتب، تعرج نحو النموذج الأكمل والأتم، فمنزلة الصاحب ليس هي رتبة الصديق وهذا الأخير لا يتجاوز درجة النبوة التي هي أدنى من الرسالة وهكذا (وهنا تجب الإشارة إلى خصوصية النموذج الأكمل وخصوصية التعلق به ؛ فإذا كانت صلة طالب القيمة بنموذجها تقتضي مشاهدته المباشرة، فإن هذه المشاهدة تنتفي في حق النموذج الأكمل؛ إذ هو منه عن كل تشخيص وتمثيل؛ لذا، تفضل على عباده بسابق رحمته، فاصطفى رسلا منهم، حتى يشاهدوهم ويقتدوا بهم، باعثا لكل قوم نموذجا منهم؛ وبعث محمدا عليه السلام نموذجا للناس جميعا؛ ولما كان تعلق الإنسان بهذا النموذج المرسل ليس درجة واحدة، وإنما درجات كثيرة، كان قد تعلقه بالنموذج الإلهي- أي الرحمان- على قدر تعلقه بهذا النموذج البشري- أي الرسول الرحيم)[27].

أما المفهوم الثالث فهو الاتصاف بأخلاق النموذج التام إلى الأتم تدرجا ومعراجا (وكلما زاد تعلق المرء بالنموذج، زادت قوة هذا الاقتداء؛ وكلما زاد الاقتداء لديه، زاد استجلاؤه للقيمة التي يمثلها هذا النموذج، فيكون أثرها في نفسه أبلغ وأنفع؛ ولما كان التعلق بالنموذج الإلهي -كما تقدم - على قدر التعلق بالنموذج النبوي، كان الاتصاف بأخلاق النموذج الإلهي على قدر الاتصاف بأخلاق النموذج النبوي؛ وعلى هذا، فبقدر ما يتعلق المرء بالرسول الرحيم، ينال نصيبه من رحمته الشريفة؛ وعلى قدر هذا النصيب، يكون نصيبه من الرحمة الكبرى التي يتجلى بها «اسم الرحمان»)[28]، إذن ما يمكن قوله مبدأ التعايش في فكر طه عبد الرحمان يقتضي التراحم الذي هو أساس التماسك الاجتماعي بل هو أساس التناغم الكوني الذي يتعدى الإنسان ليشمل جميع الكائنات، وحتى يؤتي مبدأ التراحم ثماره في هذا الكون الذي يطلب منا أن نعيد أمانة التناغم له من

خلال الإصلاح في الأرض فإن ذلك مرهون بروح التخلق القائم على أسس ثلاث (القدوة ، التعلق، الاتصاف) منهاجا وحبا وتمثلا.

ب– اتساق الأديان

إن طبيعة التكامل الديني تتحد من خلال:

أ– تكامل الاتساق والمقصود بالاتساق أنّ أحكام الدّين مترابطة فيما بينها ومتماسكة)[29] فالغرض من الدّين هو تنظيم حياة الإنسان في العالم المرئي حتى يتمتع بالسعادة الأبدية ولا سبيل لذلك إلا بإتباع: أصول العقيدة وأركان العبادة وقوانين التعامل وقواعد الأخلاق مرتبطة بمبادئ الإيمان، العمل، العدل، الخير تناسبا أي أنّ أصول العقيدة تبنى على مبدأ الإيمان وأركان العبادة ينظمها مبدأ العمل، وقوانين التعامل يحكمها مبدأ العدل وقواعد الأخلاق ينظمها مبدأ العمل، وقوانين التعامل يحكمها مبدأ العدل وقواعد الأخلاق ينظمها مبدأ الخير (ومعلوم أن المقصد الذي تطلب الأديان المنزلة تحقيقه هو « التعبد لله وحده »؛ فإذن الروح التي تنبسط بها الأحكام في هذه الأديان ويأتلف بعضها مع بعض هي «روح التوحيد»؛ وإذا تقرر أن وجود روح واحدة في الأحكام الدينية، أصولا عقدية كانت أو أركانا عبادية أو قواعد أخلاقية أو قوانين تعاملية، هو السر في اتساق وحدتها)[30] .

ولما كان الدين منبعثا من الروح الأسمى الذي لا ينقسم فبفضل هذه الوحدة التي لا تنقسم كان الدين واحدا، فمن الخطأ أن نتكلم عن الأديان بل هناك شرائع ودين واحد من صنع الواحد الأحد وجميع الكائنات توحد الإله طوعا أو كرها (أن معنى « توحيد الإله»، متى استولى على قلب الفاعل الديني بكليته، جعله يستشعر في كل آية خفية في نفسه، وفي كل مظهر جلي من حوله، شكلا من أشكال الوحدة، متأملا وجه دلالته على وحدانية الإله، بل متحققا بشهود هذه الوحدانية؛ إذ تصير عنده صور الوحدة في الآيات الخفية والظواهر الجلية، على اختلافها، ناطقة بهذه الوحدانية، كل واحدة منها –

أي كل آية أو ظاهرة – على طريقتها الخاصة؛ ولا يشعر الفاعل الديني بتحقق هذه الوحدة شعوره بتحققها في عبارة الأحكام الدينية نفسها، لأنها، دون سواها من حقائق الوجود بين، بصريح اللفظ، معاني الوحدانية، فضلا عن كونها، مثل غيرها من الحقائق، من صنع الواحد الأحد)[31] ، والعمل ببعض أحكام الدين دون بعض يجعل الإنسان ينتفع انتفاعا نسبيا بل يكون نفعه منقوصا ومشكوكا فيه (أن الاجتزاء ببعض الأحكام الدينية يوقع صاحبه في التعبد للطاغوت، ذلك أن هذا الاجتزاء يكون مبنيا على التحكم والتشهي مهما ادعى صاحبه من معلولية» أو « موضوعية» أو «واقعية» فيما أورده من الاعتبارات المصلحية والمسوغات الظرفية ، فيلزم أن يكون، في هذا الاجتزاء المتشهي، متبعا لهواه، جاعلا منه إلها يتعبد له طواعية من دون الإله الحق، وهو وحده الذي أحاط بكل ليه علما، ووضع لكل شيء حكما)[32] ، ولما كان الدين المنزل صادر عن إلاه واحد كانت أحكامه متماسكة غير مفرقة ووجب على الإنسان أن يأخذ بهذه الأحكام كبنية متكاملة كليا حتى تحصل له السعادة التي يكون في إثرها استصلاح فيكون بمثابة النموذج الأكمل الذي يستخلف الله في الأرض " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (208)** " إن تعارض الأقوال الدينية في حقيقة الأمر تعارضا عرضيا وظاهر مجازيا سببه غفلة مدارك الفاعلين الدينيين ولما كان التعارض سببه جهل الفاعلين وضع الترجيح اجتهادا وكذلك النسخ والتوفيق والتأويل حتى يتسنى رفع الخلاف.

وتتحقق وحدة التفاهم (وهذا هو معنى الاتساع للتكامل الديني)[33] ، وتكامل الاتساع ينظم حياة المؤمن حيث يشهد في العالم المرئي آيات العالم الغيبي يقول طه في هذا وبهذا يصبح العبد: (مقرا بسابق الشهادة بوحدانية الله، وموقنا بعهد التعبد له وحده؛ وأيضا أن هذا التنظيم المتعدي يقتضي أن يكون الدين محددا المضمون؛ كما ذكرنا أن هذه الوحدة المضمونية تتمثل أساسا في روح التوحيد التي تحدد وتوجه أحكامه، أصول

عقيدة كانت أو أركان عبادة أو قواعد أخلاق أو قوانين تعامل، جاعلة منها نسقا واحدا)

ج المؤاخاة

إن المؤاخاة تبنى على أركان أربعة ألا و هي

-الركن الأول: التوجه إلى المتجلي بالعدل (والمؤاخي أدرك بخلاف غيره الحقيقة الروحية التي لا يلتمسها في الروحية الملفقة أو المزيفة (روحانية علمانية ودين مبتدع) والملفقة (أن يأخذ المواطن من كل الديانات ويضيف إليها من عنده)[34] ، فلكي يتحقق التآخي لابد من روحانية خالصة منفكة عن المادة مستمدة قيمها من أفق هذا العلو المتعالي المتمثل في المتجلي بعدله.

-الركن الثاني: التجرد من الظلم وبالخصوص الظلم الذاتي، لابد أن تشيع بين مواطني العالم ثقافة دفع الظلم الذاتي حتى تتحقق المؤاخاة وذلك بنقد النفس حينما تقصر بأداء حقوق غيرها إنما تقصر في أداء حقوق نفسها.

-الركن الثالث: التحقق بالماهية الأخلاقية ورفع التحديات الاقتصادية والاجتماعية في زمن العولمة والحداثة والمادة (أصبح العقل مختزلا في الخاصية الحسابية متجاهلا خاصيته الإنسانية)[35] ، وأصبح العقل الحسابي متحكم في العلاقات التجارية والاجتماعية والمؤاخي يعي كثيرا من مخاطر هذا الانغلاق الذي وقع فيه المعاصرون ولدرء هذه المخاطر وجب مراعاة الأصل الأخلاقي في العلاقات وأن التقدم المادي يكون محصنا بالتقدم الروحي.

-الركن الرابع: القدرة على إبداع قيم ودفع التحديات العلمية إن اللعب وإتباع الهوى في مجال العلم خاصة في التجارب الجنينية والإشعاعية التي هددت البيئة والإنسانية جمعاء وللخروج من هذا المأزق وجب إبداع قيم بمنزلة المقاصد الإنسانية التي يسترشد بها العلماء فلا يلعبون في تجاربهم ولا يشتهون في أبحاثهم والمؤاخي أقدر من غيره أن يبدع

هذه القيم، يلحظ من القيم السابقة أن طه عبد الرحمان اجتهد في وضع مشروع أخلاقي، وقيم كونية مستمدة من الخطاب الصوفي قادرة على حل الأزمات التي تولدت جراء التقنية.ويبقى التصوف و التمسك و التنسك بأخلاقه قولا وعملا هو سبيل إخراج البشرية من الجحيم، ورغم هذا يبقى الإشكال مطروحا إلى أي مدى تستوعب البشرية الخطاب الصوفي لتجد مفتاح النجاة. ؟ ألم يئن للبشرية أن تجرب التصوف حتى تذوق السعادة.؟

خاتمة:

مجموعة من النتائج تمخضت عن التحليل السالف الذكر:.

- إذا كانت المرونة والتخطيط الممكن و الخبرة تجعل الأمة تتنبأ بالمستقبل فإن الصفاء الروحي يجعلها ترى المستقبل.

-أخلاقيات الطب أفرزتها المعضلات التي تولدت من السيسيولوجيا.

-ضرورة الاطلاع على كل ما استجد في الفكر الغربي من مسائل الأخلاقيات المتعلقة بالطب مع موازاة المراجعة التي تراعي الفكر الأخلاقي العربي و الإسلامي.

-الرحيل بالأخلاقيات الطبية و التطبيقية من نذرها المحلي إلى صدعها الكوني الصوفي.

-الأخلاق التطبيقية واقع غربي وصلت أصداءه إلى الواقع العربي.

-الأخلاق التطبيقية تعكس صيحة للفلسفة العملية

-أخلاق الطب قواعد عملية و ليست نظرية رغم أنها تقوم على مفاهيم أخلاقية كلاسيكية مثل الحق، المسؤولية، الواجب، الكرامة

– قواعد الأخلاق التطبيقية لا يراع فيها الخير والشر بقدر ما يراع فيها المصلحة

– أخلاقيات الطب ترجمة تداولية توافقية يشارك فيها الجميع مثل لجان الأخلاقيات والهيئات الجديدة، والخطاب الصوفي.

الهوامش:

1. ابن منظور:لسان العرب، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط 3، ج10، 1999، ص 102
2. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز:موسوعة الأخلاق،مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع،الكويت، ط 1، 2009، ص21
3. عبد الرحمان بدوي:الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1975، ص 8
4. جميل صليبه:المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الكويت، ط 1، 1978، ص 38
5. اندريه لالاند:موسوعة لالاند،تعريب احمد خليل احمد، منشورات عويدات، بيروت، ص 37
6. طه عبد الرحمان:سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2000، ص 17
7. أبو ضيف المدني:الأخلاق في الأديان السماوية، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص 2
8. طه عبد الرحمان:مرجع سابق، ص15
9. محمد عابد الجابري:قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1979،1، ص64
10. Antoni courban , ethique da la bioéthique, théme d'une conférence donns à damas, le 06/12/2003, thexte publie à beyrout dans la revue travue et jours,n°73,printemps,2004, p 77
11. nouzha guessous, devenire bioéthicien (ne) tobecome bioethicist (2005 - 2007), p 6
12. dominique le court (sous la direction) dictionnaire de la pensée médicle, PUF ,2004, P- 71
13. عمر بوقتاش:اثار فلسفة الحق الكانتية في تأسيس البيوتيقا،ص 17
14. رجاء بن سلامة: مقال البيولتيقا،سلطة التقنية و تنافر القيم،موقع الحصاد،رابط المقال http://vf11.blogspot.com/2009/12/blog-post-166html
15. dave anctil, plande cour, PH 4030, ethique appliquée, departement de philosophie, DS 2518, (survendez vou préalable), A 1723; P 04.
16. جاكلين روس:الفكر الأخلاقي المعاصر،ترجمة عادل ،عويدات للنشر و التوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ص 94
17. رجاء بن سلامة :سلطة التقنية و تنافر القيم، مقال سابق، ص 65

18. محمد عابد الجابري:قضايا في الفكر العربي المعاصر،مرجع سابق.
19. طه عبد الرحمان: روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، ط1، 2006، ص252.
20. المصدر نفسه، ص 253.
21. المصدر نفسه، ص 254.
22. المصدر نفسه، ص 254 .
23. طه عبد الرحمان: روح الحداثة ، مصدر سابق، ص 254.
24. المصدر نفسه، ص 255.
25. المصدر نفسه، ص 255.
26. طه عبد الرحمان: روح الحداثة ، مصدر سابق، ص 255.
27. طه عبد الرحمان: روح الحداثة ، مصدر سابق، ص 256.
28. المصدر نفسه، ص 71.
29. طه عبد الرحمان: روح الحداثة، مصدر سابق، ص 72.
30. المصدر نفسه، ص 73.
31. طه عبد الرحمان: روح الحداثة ، مصدر سابق، ص 74.
32. المصدر نفسه، ص 77 .
33. طه عبد الرحمان: روح الحداثة، مصدر سابق، ص 77.
34. طه عبد الرحمان: روح الحداثة ، مصدر سابق، ص31.
35. المصدر نفسه، ص 32.